الفكر العمراني عند اليعقوبي في كتابه البلدان

م.د.نجلاء عبد الكريم خليفة
جامعة بغداد/كلية التربية للبنات

(خلاصةالبحث)

يعد اليعقوبي من ابرز الشخصيات العلمية التي قدمت للحضارة الانسانية الشيء الكثير من الابداعات الفكرية والعمرانية ؛ ويعد الرائد في مجال العمران والجغرافية من بين علماءنا العرب المسلمين اذ لم يكن عالة على من سبقه من العلماء بل اجتهد وابدع وجاء بفكر جديد عن العمران، فقد قدم من خلال كتابه (البلدان)، صور متعددة عن الفكر العمراني كعلم المساحات ومواد البناء والتخطيط، وحفر وشق الانهار وبناء الطرق والجسور، وكذلك اعطى اليعقوبي اهمية كبيرة للعلاقة بين الموقع والجغرافي ونجاح وازدهار المدن من الناحية الاقتصادية وما يتبع ذلك ازدهار اجتماعي وفكري .

لذلك أوصي نفسي اولاً وجميع الباحثين في مجال التاريخ العربي الاسلامي بالتعمق والدراسة المستفيضة لموروثنا الحضاري بكل جوانبه المتعددة ، لان هذا الموروث يجعلنا نفخر امام الامم الاخرى خدمة اجدادنا العظام من فكر حضاري وانساني راقي .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعد:

فهذه وقفة اعتزاز وإجلال لما قدمه لنا أجدادنا العظام من إنجازات جليلة يعجز عن وصفها العقل واللسان، انجازات جعلتنا على مر العصور نفخر أمام الأمم الأخرى ونسعى الى تمجيد حضارتنا بالاستشهاد بما تركوه لنا من إرث حضاري وفكري راق.

ومن أهم هذه الشخصيات العلمية التي نفخر أن ندرس انجازها الفكري والحضاري هو اليعقوبي.

وفي الحقيقة وأنا أكتب عن الفكر العمراني عند اليعقوبي وقفت وقفات طويلة أردت منها أن أحدد المجال الذي أبدع فيه اليعقوبي لكي أوسم موضوع بحثي، كأن أقول عنه الجغرافي أو مهندس أو رحالة أو أديب، لكني وجدته جغرافياً طبيعياً وبشرياً ومهندس بناءً عارفاً بمواد البناء وهندسة البناء وهندسة المساحة

والطرق والجسور والهندسة المعمارية، لذا وجدته موسوعة لكل ما كان في عصره من العلوم، فضلاً عن كونه مؤرخاً، له مؤلفة المشهور (تاريخ اليعقوبي)فقد استوعب كل علوم عصره.
لذا فهو يستحق منا كل الاعتزاز والتمجيد لما تركه من معلومات هائلة رسمت لنا صورة واضحة أشبه بالصورة الفوتوغرافية عن المدن التي كتب عنها أو رحل إليها.
لذلك أردت أن أقف في هذا البحث المتواضع على أنموذجا من الإبداعات الفكرية العمرانية لليعقوبي في كتابه (البلدان)، فالتمست مدى الوعي الذي كان عليه اليعقوبي في تخطيط المدن وتوزيع الوحدات السكنية وكل ما يرتبط بها من وحدات إدارية واقتصادية.
وكان الرائد من الجغرافيين في توضيح العلاقة بين المناخ وأحواله والتلوث البيئي وأثره في العمران الحضاري.
وتنبه اليعقوبي الى حقيقة مهمة من الحقائق التي حددت انتعاش المدن اقتصادياً ودوام استمرارها وهي موقع المدينة في قربها من الأنهار أو الأراضي الصالحة للزراعة وعلى العكس من ذلك فقد أشار اليعقوبي الى أن هناك مدن لم تتمكن من الصمود لوقت طويل بسبب فقر الأقاليم والمنطقة المحيطة بها.
وقد قسمت بحثي على ثلاثة مباحث هي:
المبحث الأول: دراسة سيرة حياة اليعقوبي ومنهجه في تأليف كتاب البلدان والمصادر التي استقى اليعقوبي معلوماته منها.
المبحث الثاني: عرض أهم إبداعات الفكر العمراني عند اليعقوبي في كتابه (البلدان) وسألقي الضوء على ملامح هذا الإبداع في مدينة بغداد ومدينة سر من رأى.
المبحث الثالث: وفي هذا المبحث سوف نناقش بعض آراء المستشرقين الذين حاولوا أن يلصقوا صفة البداوة على المسلمين واتهموا العقلية العربية بالقصور في ميدان الفكر العمراني، وسوف نحاول الرد على آرائهم القاصرة من الوقوف على الإبداعات الفكرية العمرانية عند اليعقوبي.
وقد اعتمدت ما كتبه ياقوت الحموي في معجم الأدباء عن ترجمة اليعقوبي الذي لم أجد له ترجمة في كتب التراجم والسير الذي هو مضنة وجودها، حتى إن ابن النديم صاحب الفهرست لم يتطرق لذكر اسم اليعقوبي.
لذلك كان (كتاب البلدان) هو الكتاب الذي اعتمده في البحث ولاسيما فيما يتعلق بالمبحث الثاني لأنه أفصح عن منهجه ومصادره في بداية تأليفه للكتاب.
وفي المبحث الثالث فقد أمدتني بعض المصادر في بيان آراء بعض المستشرقين حول الفكر العمراني عند العرب المسلمين.

هذا وأسأل الله العلي العظيم أن ينفعنا بما علمنا وهو ولي ذلك والقادر عليه.
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول:- (سيرته)

١- اسمه وكنيته:

هو أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الأخباري العباسي(١).

كنيته: عرف اليعقوبي يكنى عديدة منها:-

أ-ابن الواضح:- نسبة الى جده الأعلى واضح الذي كان من موالي المنصور العباسي والذي شغل يوماً ما مناصب إدارية كبيرة أيام المنصور والمهدي والهادي(٢).

ب-ابن اليعقوبي: نسبة الى نسبه اليعقوبي(٣).

ج- العباسي: نسبة الى البيت العباسي الحاكم وجاء هذا النسب واضح، إذ كان من موالي المنصور ومن المقربين إليه والمعتمد عليه في المهمات(٤).

٢-الوظائف التي تقلدها اليعقوبي:

لم تكن لدينا معلومات كافية عن مدى الوظائفالحكومية التي تقلدها اليعقوبي، إلا أن المعروف عن عائلته أنها كانت مقربة الى السلطة الحاكمة، حتى إنها حملت نِسب العائلة العباسية الحاكمة، وأولت العائلة العباسية عائلة اليعقوبي ثقة عالية، إذ أناطت بأفرادها أهم المناصب الإدارية الرفيعة كإدارة الأقاليم ومهمات البريد(٥).

ويذكر الجعفري بهذا الصدد أن واضح الجد الأعلى لليعقوبي أُنيط به أمر إدارة إقليمي أرمينيا وأذربيجان في عهد المنصور وعين أيضاً حاكماً على مصر في عهد الخليفة المهدي، ومن ثم فصل عن إدارة مصر لشكوى قدمها سكان مصر الى الخليفة العباسي ضد حاكمها واضح فعزله عنها وأعاد تعينه على بريد مصر(٦).

إن كل هذا الكلام الذي ساقه لنا الجعفري لم ينقل بأمانة من المصادر التي ذكرت فيها هذه المعلومات إذ إن ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة يذكر أن واضح بن عبد الله المنصوري الخصي أمير مصر وليها من قبل المهدي.

فإذا كان واضح خصياً فكيف يعقب وما الدليل على أنه جد اليعقوبي؟.

وفي الحقيقة إن جل اعتماد الجعفري فيما نقله عن أسرة اليعقوبي كان من كتابات المستشرقين أمثال كواتشكوفسكي، وبروكلمان،وزامباوروغيرهم، ما نقله من المصادر العربية فتنقصه الأمانة العلمية وإيراد النصوص بأكملها.

وسوف نورد ما جاء عند (ابن تغري بردي) صاحب النجوم الزاهرة من كلام عن واضح المنصوري: (ولاية واضح المنصوري على مصر هو واضح بن

عبد الله المنصوري الخصي أمير مصر، وليها من قبل المهدي بعد عزل عيسى بن لقمان عن مصر في جمادي الأولى سنة اثنتين وستين ومائة، فدخلها واضح المذكور في يوم السبت لست بقين من جمادي الأولى سنة اثنتين وستين ومائة المذكورة، وجمع له المهدي صلاة مصر وخراجها معاً....... وواضح هذا أصله من موالي صالح ابن الخليفة أبي جعفر المنصور وكان خصيصاً عند المنصور الى الغاية، وكان يندبه الى المهمات لشجاعته كانت فيه وشدة، ولما ولي إمرة مصر شد على أهلها فشكوا منه فعزله المهدي عنهم في شهر رمضان من سنة اثنتين وستين ومائة المذكورة بمنصور بن يزيد، فكانت ولاية واضح هذا على مصر نحو أربعة أشهر،.... واستمر واضح هذا على بريد مصر الى أن خرج إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رض)، وكان واضح المذكور فيه ميل للعلويين فحمله واضح على البريد الى الغرب فنزل إدريس بمدينة يقال لها وليلة، وكان إدريس هذا قد خرج أولاً مع الحسين صاحب فخ، فلما قتل الحسين هرب إدريس هذا الى مصر واختفى بها الى أن وجهه واضح هذا الى الغرب فلما وصل إدريس هذا الى الغرب دعا لنفسه فأجابه من كان بها وبنواحيها من البربر وعظم أمره، وبلغ ذلك الخليفة الهادي موسى فطلب واضحاً هذا وقتله وصلبه في سنة تسع وستين ومائة، وقيل: الذي قتله هارون الرشيد لما تخلف بعد موت أخيه موسى الهادي في أول خلافته)(٧).

نعتقد أن محاولة الجعفري لربط اليعقوبي بواضح في النسب يحرم اليعقوبي نفسه من الامتيازات والمكانة المرموقة التي من المفترض أن يحصل عليها من البيت العباسي لأن العباسيونكشفوا ميول جده واضح العلوية وقتل بسبب مناصرته لإدريس بن علي الأمر الذي يجعل البيت العباسي حانقاً على أحفاد واضح لاتهامهم بالخيانة.

والمسألة الأخرى التي لم يحملها الجعفري على محمل الجد هي كون واضح هذا خصي فكيف أنجب؟

وفي الحقيقة الأمر لم تسعفنا المصادر التاريخية عامة وكتب التراجم والسير خاصة بأية معلومة عن اليعقوبي وعن سيرة حياته وأهم الوظائف التي تولاها ولا أعرف السبب الحقيقي وراء هذا التكتم أو الغموض الذي يكتنف شخصية اليعقوبي .

أما الجعفري الذي بدأ بوضع فرضيات فيها يتمكن من تعليل الدقة التي اتبعها اليعقوبي في إيراد الإحصائيات والمعلومات السرية، فتارة يقول: يفترض أن اليعقوبي شغل مناصب حكومية بسبب كثرة أسفاره(٨).

ويذكر أيضاً إن دقة المعلومات ولاسيما الإحصائيات والكتب الرسمية والوثائق لا يمكن أن تصدر إلا من موظف له اطلاع على أسرار الدولة(٩).ويقول أيضاً يفترض أن اليعقوبي خدم في هذه الدولة الظاهرية، لأنه بقي مدة طويلة(١٠).بني الجعفري كلامه وافتراضاته على أن اليعقوبي تولى منصباً إدارياً أو موظفاً لدى الدولة الظاهرية من دون أن يسوق دليل على هذا الكلام واعتمد في هذه الفرضية على كتابات كراتشكوفسكي.

٣-الموارد التي استقى منها اليعقوبي معلوماته:-

لقد وضح اليعقوبي في مقدمة كتابه (البلدان) الطريقة التي جمع بها مادته وحدد أيضاً المنهجية التي مكنته من الحصول على المعلومات عن الأماكن التي لم يصل إليها فقد قال في مقدمة كتابه:(إني عنيت في عنفوان شبابي وعند احتيال سني، وحدة ذهني بعلم أخبار البلدان، ومسافة ما بين كل بلد وبلد لأني سافرت حديث السن واتصلت أسفاري ودام تغربي فكنت متى لقيت رجلاً من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره، فإذا ذكر لي محل داره وموضع قراره، سألته عن بلده ذلك في بلدته ما هي؟ وزرعه ما هو؟ وساكنيه من عرب أو عجم؟ .... شرب أهله حتى أسأل عن لباسهم... ودياناتهم ومقالاتهم والغالبين عليه والميرا.. مسافة ذلك البلد، وما يقرب منه من البلدان... والرواحل، ومن ثم أثبت كلما يخبرني به من أثق بصدقه واستظهر بمسألة قوم بعد قوم، حتى سألت خلقاً كثيراً، وعالماً من الناس في الموسم وغير الموسم، من أهل المشرق والمغرب، وكتبت أخبارهم ورويت أحاديثهم وذكرت من فتح بلداً بلداً وجنداً ومصراً مصراً من الخلفاء والأمراء ومبلغ خراجه وما يرتفع من أمواله، فلم أزل أكتب هذه الأخبار وأولف هذا الكتاب دهراً طويلاً، وأُضيف كل خبر الى بلده وكل ما أسمع به من ثقات أهل الأمصار الى ما تقدمت عندي معرفته)(١١).من هذه المقدمة التي وضح فيها اليعقوبي موارده التي جمع بموجبها مادته يمكن أن نحدد هذه الموارد بما يأتي:-

أولاً:- المشاهدة والمعاينة:

لقد تجشم اليعقوبي عناء السفر من أجل جمع مادة كتابه ولذلك يعد اليعقوبي أول جغرافي وصف الممالك معتمداً ملاحظاته الخاصة ومتوخياً قصد ما أراد من وصف البلاد وخصائصهاً(١٢).

واليعقوبي في عمله هذا قد حقق أهدافاً جغرافية لا يمكن كتابة مادتها بالسماع والنقل وإنما تكون عن طريق دراستها على الطبيعة(١٣).

ثانياً:- السماع:

فكان اليعقوبي يسأل بعض الأسئلة عبرها أعطى صورة واضحة عن المنطقة ومن هذه الأسئلة:-

- يسأل اليعقوبي أهل المنطقة عن الوطن والمصر وعن عنوان المفصل لكل من يسأله؟
- ماهي الزروع المنتشرة في هذه المنطقة؟
- أصل السكان هل هم عرب أم عجم؟
- يسأل اليعقوبي عن موارد شرب أهل المنطقة؟
- يسأل عن لباس أهل المنطقة؟
- يسأل عن الديانات؟
- يسأل عن المذاهب؟
- يسأل اليعقوبي عن المسافات بين بلد وآخر وعن اقرب بلده؟

وغيرها من الأسئلة التي توضح الدقة التي اتبعها اليعقوبي في جمع مادته والتي منها أعطى صورة واضحة عن المنطقة من أجوبة أهل المنطقة.واعتمد اليعقوبي حسب ما يذكر على ثقات أهل الأمصار في جمع معلوماته.

ثالثاً:- الاستعانة بالكتب المدونة:

إن الكثير من الموضوعات التي طرقها اليعقوبي تحتاج الى مراجع يعتمدها كإشارته الى الموضوعات التاريخية كتاريخ فتح المدن، وأسماء ولاة الأقاليم، وما شابه ذلكفاليعقوبي والحالة هذه لا يمكن أن يعتمد الأقوال الشفهية بقدر اعتماده مصادر موثوق بها وهي الكتب المدونة، ولذلك نراه يصرح بذلك شارحاً أهمية موقع بغداد والعراق وكونه واقعاً في الإقليم الرابع إذ يقول:(لأنها على ما أجمع عليه قول الحساب وما تضمنته كتب الأوائل من الحكماء...)(١٤).

فهذا القول خير دليل على صحة قولنا، فاليعقوبي الباحث استطاع أن يكون له مكتبة غنية تحقق له ما كان يطمح إليه في تأليفه وكانت عنده مكتبة تحتوي أصناف المراجع التي يحتاجها لكن لم يبقَ منها إلا القليل(١٥).

المبحث الثاني

الفكر العمراني عند اليعقوبي

١- تعريف الفكر، لغة:- فكر في الأمر فكراً أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به الى مجهول والتفكير إعمال العقل في مشكلة للتوصل الى حلها(١٦).

الفكر اصطلاحاً:- ترتيب أمور معلومة لتؤدي الى مجهول(١٧).

٢- تعريف العمران لغةً:- العمران:- البنيان وما يعمر به البلد ويحسن حاله بواسطة الفلاحة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي ونجح الأعمال والتمدن يقال استجر العمران(١٨).

فإعمال العقل وترتيب الأفكار فيما يخص البنيان وإعمار البلد، وتحسين حاله بشتى الوسائل، سواء زراعة أو صناعة أو تجارة، كل هذه الأمور هي دلالة الفكر العمراني، ووضحت لديه كل المجالات التي من شأنها رفع مستوى العمران من زراعة، وصناعة، وتجارة، وعوامل نشوء المدن من موقع، ومناخ وهندسة البناء والخطط التي فصلها في كتاب البلدان ومن أبرز ملامح الفكر العمراني التي وضحت في كتاب البلدان لليعقوبي ما يأتي:-

١- اختار اليعقوبي مدينة بغداد معللاً ذلك بقوله:(...وإنما ابتدأت بالعراق، لأنها وسط الدنيا وسُرة الأرض، وذكرت بغداد لأنها وسط العراق...)(١٩).

جعل اليعقوبي بغداد مركزاً للتقسيم الذي سار عليه في دراسة المدن،وهي أربعة أقسام:

١- الربع الأول:- وهو ربع المشرق، يبدأ من بغداد وينتهي الى تركستان(٢٠).

٢- الربع القبلي:- يبدأ من بغداد الى الكوفة وطريق الحجاز والمدينة ومكة والطائف(٢١).

٣- الربع الثالث:- الجربي من ربع الشمال: يبدأ من بغداد الى المدائن وواسط والبصرة والأبلة واليمامة والبحرين..... الخ(٢٢).

٤- الربع الرابع:- ربع الشمال من بغداد وواسط والبصرة والبحرين الى جند حمص ودمشق وبلاد المغرب العربي(٢٣).

وبذلك قسم اليعقوبي مادته على أربعة أقسام، وقد اعتمد سابقيه هذا التقسيم معتمدين علم الفلك حسب قول اليعقوبي: (...حسب ما تقسم عليه أقطار الأرض بين المشرق والمغرب، ومهب الجنوب وهو القبلة وهو مطلع سهيل(٢٤)،الذي يسميه الحساب التيمن(٢٥)، ومهب الشمال وهو كرسي بنات نعش الذي يسميه الحساب الجدي ونصف كل بلد الى الربع الذي هو منه والذي يتصل به...)(٢٦).

وهذا التقسيم الذي اعتمده اليعقوبي في كتابه هو مخالف لما اعتمده اليونان والهند التي قسمت العالم على سبعة أقاليم(٢٧).

وبذلك وضع اليعقوبي لنفسه خطة عمل منظمة في وصف المدن الواحدة تلو الأخرى حسب موقع كل مدينة من هذه التقسيمات الأربعة، إلا أن اليعقوبي وفاءً لمدينتهِ ومسقط رأسه بغداد أفراد لها ولسر من رأى جزءًا كبيرًا من كتابه ولعل المدينتين احتلتا الربع من مساحة الكتاب، إذ كان اليعقوبي ينظر الى بغداد وسامراء نظرة تقديرية عالية، لذلك ميزهم عن غيرهم من الأقاليم لان جميع تلك الأقاليم توابع لبغداد ولهذا أسهب الشرح والتوضيح فيها (٢٨).

٢-أدرك اليعقوبي أهمية المناخ بعد ذكر اعتدال مناخ بغداد وهذا الاعتدال في مناخ بغداد جاء من الموقع أولاً ومن التدرج في انتقال الهواء من فصل الى آخر

وعن ذلك يذكر اليعقوبي:- (...ويكون دخول الخريف الى الشتاء غير متباين الهواء ودخول الربيع الى الصيف غير متباين الهواء، وكذلك كل فصل ينتقل من هواء الى هواء ومن زمان الى زمان، فلذلك اعتدال الهواء)(٢٩).
وبعد هذا التعليل وذكر سبب اعتدال المناخ أسهب اليعقوبي في ذكر الفوائد التي تحققت من اعتدال المناخ في بغداد منها:-
١ـطيب المكان. ٢- عذوبة الماء
٣- زكاء الأشجار. ٤- طيب الثمار.
٥ـخصوبة الزرع.....الخ(٣٠).
ووضح اليعقوبي أثر اعتدال المناخ في الأخلاق وفي النشاط البشري والتقدم الحضاري بشكل عام، إذ نرى أن المناطق الباردة والحارة لا تساعد على النشاط البشري، فالمناخ البارد يقيد نشاط الإنسان أما الحار فيدعو الى الخمول والكسل، لذلك لم تنشأ في تلك الأراضي الإفريقية الحارة حضارات بشرية راقية في أي عصر من عصور التاريخ كتلك التي نشأة في بلاد وادي الرافدين.
فاليعقوبي أدرك هذه الحقيقة بثاقب عقله ونفاذ بصيرته لما للمناخ من أهمية وتأثير في السلوك الإنسان ولذلك نراه يعلن هذه الحقيقة ويقولها بقوله:(...وباعتدال الهواء وطيب الثرى وعذوبة الماء حسنت أخلاق أهلها ونضرت وجوههم وأنفقت أذهانهم حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والأدب والنظر والتمييز والتجارات والصناعات والمكاتب والحذق بكل مناظرة وإحكام كل مهنة وإتقان كل صناعة)(٣١).
هنا نرى اليعقوبي قد أدخل عوامل أخرى مساعدة للهواء في تحقيق تأثيره هي خصوبة التربة(طيب الثرى)ووفرة المياه الصالحة للشرب(عذوبة الماء) هذه هي الحقيقة التي لا جدال فيها.
٣ـلقد حدد اليعقوبي مميزات لموقع بغداد، جعل العباسيين يحسنون تمييز الأمور وصحة عقولهم يختارون هذا الموقع ومن أبرز هذه المميزات:-
١- أدرك اليعقوبي في كتاب البلدان حقيقة أساسية في نشأة العمران وقيام المدن واتساعها هي الموقع بالقرب من الأنهار والروافد كعامل مهم في توزيع وتجمع السكان بقوله: ((... ثم يجري في حافتيها النهران الأعظمان دجلة والفرات، فتأتيها التجارات والمير براً وبحراً وبأيسر السعي...))(٣٢).
٢- قارن اليعقوبي بين موقع بغداد وموقع غيرها من المناطق كالشام التي وصفها ((بأنها وبيئة الهواء ضيقة المنازل والمتصلة بالطواعين))(٣٣).

أي إن الفلسفة الحضرية المتطورة كانت حاضرة في ذهن اليعقوبي عندما ربط موقع بغداد واعتدال مناخها في صحة أهلها واتساع منازلهم وبعدهم عن الأمراض كالطاعون الذي كان منتشراً في بلاد الشام.

٣- وضح اليعقوبي مساوئ اختيار المنطقة الباردة للاستيطان وبناء المدن في مقارنة موقع بغداد بموقع ((رمينة النائية الباردة الصردة))، على العكس من موقع ذات المناخ المعتدل وبهذا الصدد يذكر ابن الفقيه ((إن المدن المشيدة في الجهات الباردة تكون أبدان أهلها رطبة لينة وتؤثر هذه العوامل في النساء))(٣٤)، ويقول: ((وتكثر نساؤهم الإسقاط بسبب الرطوبات))(٣٥).

٤- لقد كانت التأملات الحضارية واضحة في ذهن اليعقوبي عندما وصف موقع بغداد بعد سؤال الخليفة أبو جعفر المنصور عن اسم الموضوع الذي أعجبه ليكون عاصمة الخلافة العباسية، وكانت بغداد في بادئ الأمر قرية من قرى طسوج(٣٦) باد وريا(٣٧)، ذكر اليعقوبي إن الملوك في الجاهلية والإسلام غفلوا عنها، ويتعجب هذا الإغفال عن الموقع المتميز بقوله: ((... وإلا فجزيرة بين دجلة والفرات، دجلة شرقيها والفرات غربيها، مشرعة للدنيا))(٣٨).

٥- كان اليعقوبي دقيقاً في عرض المدن الساحلية الواقعة على نهري دجلة والفرات، وأكد أهمية القرب من المدن والحواضر في الازدهار الاقتصادي ونشاط حركة التجارة وفي ذلك يقول اليعقوبي: ((... حتى يكون بها من تجارات البلدان أكثر مما بتلك البلدان التي خرجت التجارات منها، ويكون مع ذلك أوجد وأمكن، حتى كأنما سيِّقت إليها خيرات الأرض أو جمعت فيها ذخائر الدنيا وتكاملت بها بركات العالم))(٣٩).

٦- بعد أن استقر أمر الخليفة أبي جعفر المنصور في اختيار موقع مدينة بغداد شرع بالتخطيط لبناء مدينة الملك وعاصمة الخلافة نرى اليعقوبي هنا أسهب في عرض مستلزمات العمران لبناء المدينة الجديدة بقوله: ((... ثم وجه في إحضار المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذراع والمساحة وقسمة الأرضين حتى اختط مدينته المعروفة بمدينة أبي جعفر...))(٤٠).لقد حدد اليعقوبي في النص السابق ثلاث تخصصات مختلفة وهيفروع دقيقة للهندسة لمعمارية وهي:-

١- العلم بالذراع٢- العلم بالمساحة ٣- قسمة الأرضيين

وبهذا العرض الدقيق يكون اليعقوبي قد أبدع في الدقة والمعرفة بهذه التخصصات الدقيقة ولم يدمجها في مصطلح واحد، فضلاً عن هؤلاء المتخصصين في المساحات والقسمة أحضر أبو جعفر المنصور البنائين والفعلة والصناع من النجارين والحدادين والحفارين ولقد لفت اليعقوبي أنظارنا الى أهمية تناقل الخبرات البشرية واستخدامها من أجل الوصول الى أفضل النتائج

في البناء وذلك بقوله: ((... وكتب الى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئاً من البناء فحضر مائة ألف من أصناف المهن والصناعات...))(٤١).
كذلك أدرك اليعقوبي أهمية تحفيز الأيدي العاملة بإغداق الأرزاق وإعطائهم الأجر قبل البدء بالعمل ليكون محفزا لهم لمواصلة العمل.
٧- برز اليعقوبي بفكره المتميز وكأنه مهندس معماري وبدء بوصف أدق التفاصيل في عملية بناء مدينة بغداد، ابتداءً بوصف اللبنة بدقة متناهية بقوله: ((وكان في اللبنة المنصفة طولها ذراع في ذراع، وزنها مائتي رطل، واللبنة المنصفة طولها ذراع وعرضها نصف ذراع ووزنها مئة رطل...))(٤٢).
وتجلت القدرة العقلية لليعقوبي عندما وصف الأنهار والجداول التي شقت لتوفير المياه والاستعداد لعمل البناء وتجسد هذا بقوله: ((... وحفرت الآبار للماء وعملت القناة التي تأخذ من نهر كرخايا(٤٣)، وهو النهر الآخذ من الفرات، فأتقنت القناة وأُجريت الى داخل المدينة ولضرب اللبن، وبل الطين...))(٤٤).
لقد وصف اليعقوبي لنا الأعمال الهندسية في إقامة القناة المتفرعة من نهر كرخايا إذ يقول:- ((... وجر القناة التي تأخذ من نهر كرخايا الآخذ من الفرات في عقود وثيقة من أسفلها محكمة بالصاروج والآجر من أعلاها معقودة عقداً وثيقاً فتدخل المدينة وتنفذ في أكثر شوارع الأرض تجري صيفاً وشتاءً، قد هندست هندسة لا ينقطع لها ماء في وقت...))(٤٥).
في هذا النص أكد اليعقوبي العقلية العربية الفذة في هندسة الأنهار وشق القنوات وتغليفها بالصاروج والآجر لتصبح صالحة للاستخدامات المختلفة، وإن اليعقوبي هو بنفسه يؤكد هذه البداعة في هندسة القنوات للأخذ من نهري دجلة والفرات وتصميمها حتى لا ينقطع لها ماء في وقت من الأوقات.
وعملت قناة أخرى على الطراز نفسه سميت بقناة الدجيل ((وقناة أخرى من دجلة على هذا المثال وسماها الدجيل))(٤٦)، كما حفرت قناة لأهل الكرخ وما اتصل بها سميت بنهر الدجاج إذ يقول: ((وجرى لأهل الكرخ وما اتصل به نهراً يقال له نهر الدجاج))(٤٧)، ((ثم نهر آخر يسمى نهر طابق ابن الصمية))، ثم يذكر نهراً كبيراً يسقي الكرخ سماه نهر عيسى الأعظم، الذي يأخذ الماء من نهر الفرات.
من ثم نرى اليعقوبي يعطي تبريراً لوجود مثل هذا العدد الكبير من قنوات الري في بغداد، إذ إنها كبيرة واسعة وفي ذلك يقول: ((وإنما احتيج الى هذه القنوات لكبر البلد وسعته وإلّا فهم بين دجلة والفرات من جميع النواحي تتدفق عليهم المياه حتى غرسوا الأشجار و أثمرت التمر العجيب وكثرت البساتين))(٤٨).
ولم يكتف بذكر تلك الآثار الهندسية التي تدل على طول باع العرب في مجال هندسة الري، فحسب وإنما نراه يصف خزانات المياه التي تأخذ حاجتها من

الماء في تلك القنوات، إذ يقول: ((ولهم الآبار التي يدخلها الماء من هذه القنوات فهي عذبة شرب القوم جميعاً منها))(٤٩).

لم تنحصر عناية اليعقوبي بمشاريع الري ببغداد فقط بل وضح مصادر الحصول على الماء في كل مدينة يتكلم عنها فمثلاً عندما تكلم عن مكة وأعمالها ذكر أن:- ((شرب أهل مكة من آبار مالحة ومن القنوات التي حفرتها أم جعفر بنت جعفر بن أمير المؤمنين المنصور في خلافة الرشيد أمير المؤمنين، وأجرتها من الموضع الذي يقال له: المشاش في قنوات الرصاص وبينهما اثنا عشر ميلاً فشرب أهل مكة والحاج من بركة أم جعفر))(٥٠).

حدد اليعقوبي طريقة شرب كل بلدة أو مدينة من المدن التي تكلم عنها في كتاب البلدان.

٤-برز الفكر العمراني عند اليعقوبي في شتى المجالات المعمارية، فبعد وصف هندسة الري وشق القنوات بدء اليعقوبي بوصف معالم العمران

الأخرى كالأبواب مثلاً، وبهذا الصدد يذكر: ((وجعل للمدينة أربعة أبواب، باباً سماه باب الكوفة، وباباً سماه باب البصرة، وباباً سماه باب خراسان، وباباً سماه باب الشام، وبين كل باب منها الى الآخر خمسة آلاف ذراع بالذراع السوداء، من خارج الخندق، وعلى كل باب منها بابان حديديان عظيمان جليلان، ولا يغلق الباب الواحد منهما ولا يفتحه إلا جماعة رجال، يدخل الفارس بالعلم والرامح بالرمح والطويل من غير أن يميل العلم أو لا يثني الرمح))(٥١).

يعتقد أن الأبواب جلبت جاهزة من واسط من بلدة يقال لها ((الزندروذ))، نقلها أبو جعفر المنصور الى بغداد لما بناها(٥٢)

خطط مدينة بغداد حسبما جاء عند اليعقوبي:-

اولاً:- وصف الأسوار:- ((وجعل سورها باللبن العظام التي لم ير مثلها قط على ما وصفنا من مقدارها والطين))(٥٣).

((وجعل أساس السور تسعين ذراعاً بالسوداء))(٥٤).

((علو السور خمس وعشرين ذراعاً))(٥٥).

((ارتفاعه ستون ذراعاً مع الشرفات))(٥٦).

((حول السور فصيل جليل عظيم، بين حائط السور وحائط الفصيل مئة ذراع بالسوداء))(٥٧).

لقد صور لنا اليعقوبي سور المدينة بدقة متناهية وبقياسات معلومة جعلت القارئ يتخيل شكل هذا السور وكأنه ماثل أمام عينيه، فهذا هو بحق فكر عمراني راقي حملهُ لنا اليعقوبي.

ويسترسل في وصف هندسة البناء للفصيل الذي يقع بين السورين والدهاليز والفصيل هذا ابرحه عظام وعليه الشرفات المدورة متقنة محكمة عالية وأغلب

الظن أن هذه الأبرحة مخصصة للمراقبة، أما الدهاليز فأمامها ساحات رحبة وتنتهي الى طاقات معقودة بالآخر والجص وفيها كواد روميه _ فتحات في الحائط يدخل منها الشمس والضوء ولا يدخل منها المطر وفيها منازل الغلمان، بهذه الدقة والتفصيلات عرض لنا اليعقوبي هندسة البناء عند بناء المدينة.

أما تخطيط مدينة بغداد فحسب ما ورد عند اليعقوبي:- ((قسم الأرباض أربعة أرباع، وقلد للقيام بكل ربع رجلاً من المهندسين، وحدد لكل رجل مبلغ ما يصير لصاحب كل قطيعة من الذرع ومبلغ ذرع ما لعمل الأسواق في الربض...))(٥٨).

لقد أبدع الخليفة أبو جعفر المنصور بناء مدينة بغداد، كأنما صبت في قالب أو كأنما أفرغت إفراغاً... وجاءت ما أراد لها المنصور حصناً جباراً فيه جميع مرافق الحيلة والمقاومة عند الخطر، فكانت خليطاً بين المدينة الملكية الخاصة في الوسط وبين المدينة العامة للناس في القطائع.(٥٩).

رتب اليعقوبي معلوماته عن بناء مدينة بغداد بفكر هندسي منظم وكأنه أحد المهندسين الذين شاركوا في البناء.وأقطع المنصور القطائع على أطراف بغداد من الخارج لأقربائه فكانت قطيعة عبد الوهاب بن إبراهيم (ابن أخيه) بإزاء باب الكوفة فبنفيها قصراً هناك، واقطع العباس (أخاه) الجزيرة بين الصراتين فجعلها العباس مزدرعاً وبساتين وهي العباسية المشهورة التي لا تنقطع غلاتها صيف ولا شتاء وهكذا، استمر المنصور في إقطاع القطائع حول بغداد ليجعل منها سوراً بشرياً أخر دونه ودون مدينته(٦٠). أسواق بغداد بحسب ما وردت عند اليعقوبي:-

قال اليعقوبي:- ((... وأمرهم أن يوسعوا في الحوانيت ليكون في كل ربض سوق جامعة تجمع التجارات، وإن يجعلوا في كل ربض من السكك والدروب النافذة وغير النافذة ما يعتدل بهما المنازل، وأن يسمو كل دروب باسم القائد النازل فيه، أو الرجل النبيه الذي ينزله أو أهل البلد الذي يسكنونه، وجد لهم أن يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعاً والدروب ستة عشر ذراعاً، وأن يبتنوا في جميع الأرباض والأسواق والدروب من المساجد وإكمامات ما يلتقي بها من كل ناحية ومحلة))(٦١).

ومن الأسس التي اعتمدها الخليفة أبو جعفر المنصور في تنظيم الأسواق ما يأتي:-

١- التوسعة في مساحة الحوانيت.
٢- بناء سوق جامعة تجمع جميع أنواع التجارات.
٣- زيادة عدد الشوارع والدروب المؤدية الى هذه الأسواق.

٤- تسمية كل درب باسم القائد النازل فيه أو الرجل النبيه أو أهل البلد الذي يسكنوه، لكي تعرف كل طريق باسم معين لتلافي اللبس وعدم الاستدلال في الطرق.
٥- حدد الخليفة أبو جعفر المنصور عُرض الشارع وربما يكون هو الرئيس بخمسين ذراعاً والدرب هو الفرع حدده بستة عشر ذراعاً.
٦- عدد الأسواق والدروب والمساجد والحمامات تتناسب مع حجم الناحية والمحلة لتلافي الاختناقات والازدحام والفوضى فيها.

الفكر العمراني عند اليعقوبي في تحصين مدينة بغدادلقد وعى اليعقوبي بثاقب عقله ونفاذ بصيرته كل مظهر من مظاهر الفكر العمراني، وأبرز ظاهرة ركز فيها اليعقوبي في تخطيط مدينة بغداد هي ((تحصين المدينة))، فقد أسهب وبكل دقة في وصف كل الوسائل والإجراءات التي اعتمدها الخليفة أبو جعفر المنصور من أجل تحصين مدينة بغداد خوفاً عليها من الأخطار الخارجية والداخلية المتمثلة بالثورات المحلية التي نشبت حوله بعد أن حاول الرواندية وهم أنصاره قتله في هاشمية الكوفة(٦٢).
ومن أبرز مظاهر التحصين التي اتبعها الخليفة أبو جعفر المنصور حسب ما ورد في كتاب البلدان لليعقوبي:-
١- لقد اختار الخليفة أبو جعفر المنصور الشكل الدائري لمدينة بغداد، وتأتي أهمية التدوير كما يقول د. صالح أحمد العلي: ((إن المدورة لها معان ليست للمربعة، وذلك أن المربعة إذا كان الملك في وسطها كان بعضها أقرب إليه من بعض، أما المدورة كان أمرها الى وسطها مستوياً لا يزيد بعضه الى بعض(٦٣).
ولقد أدرك اليعقوبي هذا النوع من التحصينات بقوله:-
((... وجعلها مدورة، ولا تعرف في جميع أقطار الدنيا مدينة مدورة غيرها...))(٦٤).
٢- ومن مظاهر التحصينات لمدينة بغداد الأبواب الحصية إذ يذكر اليعقوبي:-
((... وعلى كل باب منهما بابان حديديان عظيمان جليلان، ولا يغلق الباب الواحد منها ولا يفتحه إلا جماعة رجال، يدخل الفارس بالعلم، والرمح الطويل من غير أن يميل العلم ولا ينثني الرمح...))(٦٥).
وتذكر بعض المصادر أن الخليفة أبو جعفر المنصور جلب هذه الأبواب الحصينة المنيعة من واسط.
لقد وضحت لدى اليعقوبي الصورة التحصنية لمدينة بغداد من هذا الوصف للأبواب الذي يعبر عن حرص الخليفة أبو جعفر المنصور على تأمين بوابة

المدينة من كل الأمور المحتملة الوقوع، وتدل على أن الخليفة أبا جعفر المنصور كان شديد الحرص على تأمين حماية المدينة من الأخطار وإنه نقل هذه الأبواب من واسط لما تملكه هذه الأبواب من وسائل دفاعية عن المدينة.
٣-عرض اليعقوبي شكلاً آخر من أشكال تحصين مدينة بغداد وهو الفصل، وكان جليلاً عظيماً، بين حائط السور وحائط الفصل ١٠٠ ذراع بالسوداء، وللفصيل ابرحه عظام وعليه الشرفات المدورة، وخارج الفصيل كما يدور مسناة بالآجر والصاروج، متقنة محكمة عالية(٦٦).
٤-ذكر اليعقوبي إجراء آخر للتحصين وهو الخندق بعد المسناة(٦٧) وقد أُجري فيه الماء من القناة، التي تأخذ من نهر كرخايا وخلف الخندق الشوارع العظماء(٦٨).
٥- أمر الخليفة أبو جعفر المنصور ببناء أربعة دهاليز عظاماً أزاجاً كلها، طول كل دهليز ٨٠ ذراعاً كلها معقوداً بالآجر والجص وعند الخروج من هذه الدهاليز توجد رحبة مفروشة بالصخر(٦٩).
٦-على كل باب من أبواب المدينة التي على السور الأعظم، قبة معقودة عظيمة مذهبة وحولها مجالس ومرتفعات يجلس فيها، فيشرف على كل ما يعمل به، يصعد الى هذه القباب على عقود مبنية بعضها بالجص والآجر وبعضها باللبن العظام، وقد عملت أزاجاً بعضها أعلى من بعض، فداخل الأزاج للرابطة والحرس(٧٠).
٧-احتاط الخليفة ابو جعفر المنصور الى مسألة مهمة جداً وهي لم يسمح ببناء دار ولا مسكن لأحد قرب القصر إلا دار من ناحية باب الشام للحرس، كما ذكر اليعقوبي وهذا دليل واضح على عدم ثقة الخليفة بمن حوله، بل أحاط القصر بحرس من جهة باب الشام وسقيفة كبيرة ممتدة على عمد مبنية بالآجر والجص، يجلس في إحداهما صاحب الشرطة وفي الآخر صاحب الحرس.
٨-ولم يكتف المنصور بكل هذا بحسب ما رواه اليعقوبي بل حاول أن يحيط قصر الخلافة بحزام بشري متمثل بأولاده وأولاد عمه، وأقطعهم الأراضي والبساتين لكي يؤمن على نفسه من أي خط من خطر مفاجئ(٧١).
٩- لقد خاف الخليفة أبو جعفر المنصور من جند ابنه المهندي فنقله الى الجانب الشرقي _ الرصافة _ الى أن تأتي الحاجة إليهم.
ولا يذكر لنا اليعقوبي السبل التحصنية التي انتهجها الخليفة أبو جعفر المنصور في الرصافة، ولعل الخليفة ركز على تحصين جانب الكرخ بطريقة مشددة خوفاً من مناوئيه داخل المدينة وخارجها.

إن هذه المبالغة في الحذر لم نعهدها لخليفة من قبل ولا من بعد أو هي لا تدل على مدى الخوف من المفاجآت فقط، ولكن على التركيب المعقد لتحصين المدينة الإسلامية الأنموذجية أيضاً فإن المنصور لم يدع حيطة إلا اتخذها.
وبذلك يمكن أن نعبر عن فكر اليعقوبي بكونه المصدر الأساسي في الوصف الدقيق والرائع، لحصون المدينة الإسلامية.
لقد فهم اليعقوبي عقلية الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ومدى الحذر والطوق الذي أحاط به الخليفة نفسه تحسباً لكل طارئ.

المبحث الثالث

بناء مدينة سر من رأى

أولاً:- اختيار موقع سر من رأى على وفق ما جاء عند اليعقوبي:-
لقد عرض لنا اليعقوبي بأسلوبه الرائع المتميز الفلسفة الحضرية التي برزت عند خلفاء بني العباس في مجال العمارة بصورة عامة واختار الموقع الصالح لإنشاء المدن المزدهرة لكي يضمنوا لها الازدهار والنمو والتطور للقرون القادمة، على أسس وضوابط وضعها العباسيون لأنفسهم وأضحت هذه الأسس الأفق البعيد للتطور والازدهار في مجال البناء والعمارة الإسلامية.
وأبرز من جسد هذه الفلسفة في مجال اختيار الموقع المتميز لمدينته هو الخليفة العباسي المعتصم بالله بعد أن ضاقت مدينة بغداد ذرعاً بجنوده الأتراك الذين جاءتهم من سمرقند وفرغانة وغيرها من الأقاليم(٧٢)، قرر الخليفة المعتصم بالله أن يبني لهم مدينة بعيدة عن بغداد(٧٣).
تميز اليعقوبي بعرضه الشائق للدراسة الميدانية التي قام بها الخليفة المعتصم بالله لاختيار موقع المدينة الجديدة والتخطيط لها قبل التنفيذ، فقد اختار الخليفة عدة أماكن لقيام مدينة مزدهرة، ولما وجدها غير صالحة أعرض عن هذا المكان واختار غيره.ومن أهم المواقع التي اختارها، وعدل عنها لعدم استيفائها للشروط الواجب توافرها في المدينة المزدهرة:-
أولاً:- الشماسية(٧٤):- يذكر اليعقوبي:- ((... فعزم أن يبني بالشماسية خارج بغداد...، فضاقت عليه أرض ذلك الموقع وكره أيضاً قربها من بغداد...))(٧٥).
ثانياً:- البردان:- يذكر اليعقوبي:- ((... فمضى الى البردان بمشورة الفضل بن مروان، وهو يومئذ وزير، وذلك في سنة إحدى وعشرين ومائتين، وأقام بالبردان أياماً، واحد المهندسين من ثم لم يرض الموضع فصار الى موضع يقال له: باحمشا(٧٦).

ثالثاً:- باحمشا(٧٧):- يذكر اليعقوبي:- ((فصار الى الموضع يقال له: باحمشا من الجانب الشرقي من دجلة، فقدر هناك مدينة دجلة وطلب موضعاً يحفر فيه نهراً فلم يجده، فنفذ الى القرية المعروفة بالمطيرة...))(٧٨).
رابعاً:- المطيرة(٧٩):- يذكر اليعقوبي:- ((... فنفذ الى القرية المعروفة المطيرة، فأقام بها مدة ثم مدّ الى القاطول...))(٨٠).
خامساً:- الجعفرية(٨١):- عزم الخليفة المتوكل أن يبني لنفسه مدينة ينتقل إليها، وتنسب إليه، ويكون له بها الذكر فأمر محمد بن موسى المنجم ومن يحضره من المهندسين أن يختاروا موضعاً، فوقع اختيارهم على موضع يقال له الماحوزة(٨٢).فبدأ الخليفة المتوكل بالبناء وحفر نهراً في وسط المدينة وأنفق عليه ألف ألف وخمسمائة ألف دينار، وبنى القصور وشيدت الدور وارتفع البناء في مقدار سنة(٨٣)، ونقل إليها الدواوين، إلا أن الخليفة المتوكل على الله أدرك بسعة أفقه عدم قدرة هذه المدينة على الصمود والاستقرار بالازدهار والتقدم لعدة أسباب منها:-
١-((...لم يجر الماء فيه إلا جرياً ضعيفاً، لم يكن له اتصال ولا استقامة...))(٨٤).
٢-((... ولكن كان حفره صعباً جداً، وإنما كانوا يحفرون جصاً و أفهاراً، لا تعمل فيها المعاول...))(٨٥).
٣-وصف اليعقوبي طبيعة الأرض ومقدار جريان الأنهار واتجاهه وصف الجغرافي الحاذق الذي يعكس مدى أهمية هذه العوامل في نشوء وأعمار المدن، كونها عامل النجاح الأول فيها.ولما تولى محمد المنتصر بن المتوكل انتقل من الجعفرية الى سر من رأى وأمر الناس جميعاً بالانتقال من الماخورة، وأن يهدموا المنازل ويحملوا الأنقاض الى سر من رأى(٨٦).ومما سبق نجد أن الخلفاء العباسيين وضعوا لأنفسهم أسس معينة في اختيار الموضع المناسب لبناء المدن التي تخلد ذكرهم وتحمل أمجادهم ولاسيما بعد أن وضع الخليفة أبو جعفر المنصور الأسس الأولى لفن العمارة الإسلامية في العصر العباسي في بناء مدينة بغداد التي كانت تحفة معمارية تشهد على عظمة العمارة الإسلامية، جعلت الخلفاء العباسيين يتنافسون فيما بينهم في بناء المدن التي يضاهون بها مدينة بغداد، فهذا الخليفة المتوكل على الله يقول بعد أن أكمل مدينته الجعفرية:- ((... الآن علمت أني ملك إذا بنيت لنفسي مدينة سكنتها...))(٨٧).
ثانياً:- أهم المظاهر العمرانية التي وضعها اليعقوبي عند بناء مدينةسر من رأى:

١ـاستيراد المواد الأولية الداخلة في البناء من مصادرها الأصلية، كاستيراد الخشب والجذوع من البصرة ومن وآلاها من بغداد، وسائر السواد وأنطاكية وسواحل الشام(٨٨).
٢ـاستيراد الكفاءات البشرية المتخصصة مع أسرهم من المناطق القريبة أو البعيدة من سر من رأى، وجعل منهم نواة النشأة هذه الصناعات في مدينة سر من رأى، وذلك بإقطاعهم الأراضي وإسكانهم وبناء الأسواق الخاصة بأهل المهن في المدينة(٨٩).
٣ـ إقامة مصانع للمواد الأولية الداخلة في البناء كإنشاء دار لصناعة الرخام في اللاذقية(٩٠).
٤ـ لقد أدرك اليعقوبي وبكل دقة المستلزمات الضرورية لإقامة الوحدات السكنية، وهي المساجد والدور والقطائع والحمامات والأسواق والشوارع والدروب وإيصال مصادر الماء بأيسر السبل، كما هذه المستلزمات هيأها الخليفة المعتصم بالله للأتراك وجعل لهم خططاً مستقلة ومنعهم من الاختلاط مع الناس ووفر لهم كل مالا غنى لهم عنه(٩١).
٥ـ بنيت سر من رأى على ما وصفها اليعقوبي على الجانبين الشرقي والغربي، على غرار البناء في مدينة بغداد، ولكن الاختلاف بين المدينتين من ناحية العمران، هو أن بغداد كانت في الأصل قرية وبها زراعة وبساتين، أما سر من رأى فهي صحراء لا عمارة ولا زراعة، ويقول اليعقوبي ((... كانت الأرض مستريحة ألوف السنين...))(٩٢)، أنشأ فيها الخليفة العمارات والبساتين والأجنة وحفر الأنهار لها من دجلة وحمل النخيل لها من بغداد والبصرة وسائر السواد وحملت الغروس من الجزيرة والشام والجبل والري... حتى جاءت سر من رأى بخراج الزروع أربع مئة ألف دينار...))(٩٣).
٦ـ لقد وصل العمران في مدينة سر من رأى من الازدهار والتقدم لدرجة أن وجوه الناس رغبوا أن يكون لهم في أدنى أرض بها ونافست بغداد بجمالها وعمرانها(٩٤).

ثالثاً:ـ أهم الملاحظات التي سجلها اليعقوبي عن باقي الأقاليم في كتاب البلدان

١ـ ذكر في فتح البلاد من الخلفاء والأمراء والقادة.
٢ـ مصادر شرب أهل المدينة.
٣ـ أجناس أهل المدينة من عرب أو عجم أو أتراك.
٤ـ المسافة بين مدينة وأخرى.
٥ـ مبلغ خراج المدينة في السنة.
٦ـ أهم المواقع التاريخية الشهيرة في هذه المدينة.

٧- أهم المحاصيل الزراعية والصناعات والتجارات التي تشتهر بها المدينة.
٨-ديانة أهل المدينة ومذاهبهم.

المبحث الرابع
نظرة المستشرقين الى الفكر العمراني

لقد حاول بعض المستشرقين تجريد العرب والمسلمين من انجازاتهم الحضارية لا سيما في مجال العمارة وسلح إنجازهم وإلصاق صفة البداوة بالعنصر العربي، وتصوير العقل العربي بأنه يفكر ببلاده انسحبت عليه من مجتمعه الذي يحيا ويعيش فيه وهو الجزيرة العربية قبل الإسلام.

وفي ذلك يقول شولز:- ((إن أفنية العمارة الإسلامية ودواخلها تمثل إتماماً للبوادي...))(٩٥)، متناسين أن العرب لم يكونوا كلهم بدو، وخير دليل على وجود المدينة قبل الإسلام ما جاء في القرآن الكريم في ذم البداوة في أكثر من موضع، كما في قوله تعالى:- ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ (٩٦)، وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (٩٧)، وقال أيضاً: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (٩٨)، وغيرها مما سجله القرآن الكريم وهو يذم بعض الأعراب وطبائعهم ونسجل كذلك من السيرة النبوية، ((إن اعرابياً بال في مسجد رسول الله (ص)، فأراد بعض الصحابة انتهاره، فقال لهم رسول الله(ص): دعوه ولا ترزموه، فلما فرغ دعا

بدلو من الماء فصبه عليه))(٩٩)، بل إن النبي محمد (ص) قال في شهادة البدوي:- ((لا تجوز شهادة البدوي على صاحب قرية...))(١٠٠).
وعلى هذا الأساس فقد عمل الإسلام جاهداً منذ نشأتهِ الأولى على الحد من البداوة وإبدالها بالمدينة والتمدن ما استطاع الى ذلك سبيلاً، فبنى على ما هو طيب من خلق البدوي وطباعه وهذب وشذب ما ذم من ذلك.
لقد حاول بعض المستشرقين بكل جهودهم على إظهار الفجر التام للعنصر العربي في الخلق والإبداع، فنجد كريسول يجرد العمارة الإسلامية من العنصر العربي ويشير الى ذلك بقوله: ((... لا ينبغي أن يشار للعرب أو نقرن صفتهم عند الحديث عن العمارة الإسلامية، لأن بلادهم كانت تعيش فراغاً معمارياً يكاد يكون تاماً))(١٠١).
وهكذا حاول الكثير من المستشرقين النيل من الحضارة العربية فقد أبدلوا مصطلح ((الفن العربي)) ((بالفن الإسلامي)) محاولة لإزالة أي إبداع عربي، وذلك على أساس أن شعوبنا الداخلة في الإسلام مختلفة وغير عربية وهي متكونة من مصريين وفرس وروم وبربر... الخ(١٠٢).
أي حاولوا إغفال أثر العرب وبشكل كامل في الحضارة الإسلامية وأكد الكثير منهم إبراز أثر الحضارات القديمة في إزاء الحضارة العربية الإسلامية ليصلوا الى الاستنتاج الآتي:-
ارتباط الوطن العربي بالرومان والبيزنطيين والفرس وغيرهم يحاولون تحليل العناصر والمكونات الأساسية للعمارة للتوصل الى الفنون السابقة ومدى تأثيرها بالإسلام ، فعلى سبيل المثال حاول بعض المستشرقين إظهار التأثيرات الفارسية في الفن والحضارة العربية، فقد اتفق اغلبهم على أن فارس دخلت البلاد العربية عن طريق بلاد ما بين النهرين والعالم القديم ولذلك فلا بد من أنه تأثر بالفنون التي سبقته(١٠٣).
ونعتقد ان هناك بعض الأسباب التي أدت الى وقوع بعض المستشرقين بقصد أو بغير قصد في مثل هذه الأخطاء منها:-
١- جهلهم باللغة العربية.
٢- عدم إدراك أصول الشريعة الإسلامية.
٣- جهلهم لكنوز الحضارة وتراثها.
إلا أن هناك بعض مؤلفات المستشرقين التي ظهرت في أواخر القرن الماضي وبداية القرن الحالي وتسمت بشيء من العلمية والإنصاف وأعطت العمارة الإسلامية وجهها الصحيح في التطور منهم المستشرقين لسنر الذي يعطي أرقاماً للنمو المدني في حقيقة تؤشر حجم العمران في الدولة العربيةالإسلامية:- فيقول:- ((... إن المجموع الكلي للبناء في العهد الإسلامي ما عدا المراكز

الدولية، أكثر مما كان في العهد البارثي، غير أنه أقل بصورة ملحوظة مما في العهود الساسانية، أما إذا دخلت بغداد في الحساب فإن البناء الإسلامي كان أكبر مرتين ونصف مما كان في الفترة الساسانية، فإذا أضيفت سامراء فإنه يصبح أربعة أضعاف مجموع المستوطنات، ومن الواضح أن النمو السريع للعواصم العباسية لم يكن مسبوقاً في التطور التاريخي للمنطقة))(١٠٤).
ويؤكد المستشرق بينت وهو أحد علماء الإجتماع:- ((... إن الإسلام دين أهتم بالمدينة، وسعت دولته لمساعدة البدو على الاستقرار واجتثاث التقاليد البدوية، ومنها ما قاموا به من توطين الناس في البصرة في زمن الدولة الأموية))(١٠٥).
أما جرونباوم فهو يشير الى ((أن الدين الإسلامي يفضل حياة المدن، لأن أداء الإسلام لواجبه لا يمكنه أن يتم إلا في المدن، يفضل الحضر المستقرين على البدو))(١٠٦).
المكون لشخصيتنا أو فهم الأبعاد الحقيقية للعمارة الإسلامية منها يمكننا مواجهة كل التحريفات التي ما زال يعاني منها تاريخ أمتنا العربية الإسلامية.
لقد حفظ لنا أجدادنا العظام إرث حضاري راقي يحمل في طياته أرفع مستوى وصلت إليه العقلية الإنسانية من التقدم والإبداع في جميع المجالات لا سيما في فنون المعمارية والابتكارات الهندسية فهم بناة للمدينة في أرقى صورها.
وبهذا الصدد نضع بين يدي القارئ الكريم جملة من النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة عن علم من أعلام الفكر العمراني إلا وهو اليعقوبي في كتابه ((البلدان))، ومن أهم هذه النتائج:-
١-يعد اليعقوبي الرائد الأول في مجال ربط العلاقة بين المناخ وتأثيراته في صحة وأخلاق وعقول البشر(١٠٧).
٢-يعد كتاب البلدان على صغر حجمه مؤلفاً راقياً، يجد كل أصحاب التخصصات الآتية ضالتهم فيه آن ذاك:-
أ-علم المساحات والأبعاد بين مدينة وأخرى وهو مصدر مهم للمواصلات.
ب-علم الجغرافية الطبيعية وما عرض في الكتاب من مادة في الجغرافية الطبيعية من وصف الأنهار والجبال والبساتين وحالة المناخ وغيرها.
ج- علم الجغرافية البشرية وتشمل الأجناس في المجتمعات التي زارها والعادات ودراسة التركيبة البشرية للمدن التي زارها.
د- علم الهندسة المعمارية، مثل دراسة مواد البناء وتخطيط وحفر وشق الأنهار وتغليفها وبناء الطرق والجسور.
٣-أعطى اليعقوبي للموقع الجغرافي أهمية كبيرة وعلق عليه نجاح العمران وازدهار المدينة اقتصادياً، وما تبعه من رفاه اجتماعي وفكري أيضاً.وعلى

العكس فقد عزى اليعقوبي عدم قدرة بعض المدن على الصمود وتعرضها للخراب بسبب سوء اختيار الموقع الجغرافي.
٤-تنبه اليعقوبي الى كل المستلزمات الضرورية لإقامة المجمعات السكنية من مساجد وأسواق وحمامات وشوارع ودروب وخطط للأهالي وغيرها.
٥- لم يكن اليعقوبي عالة على سابقيه من المؤلفين لكنه اجتهد وأبدع وجاء بفكر جديد ووضع أسس لدراسات جديدة، حذا حذوه من جاء بعده.
٦- ابتعد اليعقوبي في كتاباته عن الخرافات والأساطير في وصف المدن، وقدم لنا مادة علمية تعتمد على أسلوب المناقشة والمقارنة والتحليل والاستنتاج.
٧- لقد جسد لنا اليعقوبي العمران ومقوماته بصورة حية في كتاب البلدان، في وصف الأرض كونها صحراء قبل العمران، وذكر أهم العوامل التي ساعدت على ازدهارها، وبعد ذلك يوضح ملامح التطور الذي حصل في هذه المدن.
٨-استوعب اليعقوبي الخاصية الحركية – الديناميكية للمدينة العربية الإسلامية، وإن المدينة هي نتاج تفاعل مستمر للعوامل الدائمة التغير كالعوامل الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية.
٩-الأمانة العلمية التي اتصف بها اليعقوبي، إذ أنه لم يزعم أنه بلغ نهاية المقصد في كتابه ولا وصل الى نهايته بل يعترف بالقصور وعدم الإحاطة بكل الأمور، مما يفسح المجال للباحث الكشف عن موطن النقص في الكتاب والاستزادة من المصادر الأخرى، وهذا هو ديدن علمائنا العرب المسلمين هو الاعتراف بالنقص والقصور في مؤلفاتهم، وفي الختام أوصي نفسي أولاً وجميع الباحثين في مجال التاريخ العربي الإسلامي، بالتعمق والدراسة المستفيضة لميراثنا الحضاري بكل جوانبه المتعددة لكي نسلح أنفسنا بكل ما هو كفيل للرد على المستشرقين في ادعاءاتهم الكاذبة التي يقذفونها على حضارتنا العربية الإسلامية وينسبون لها الجمود والتخلف.هذا واسأل الله سبحانه وتعالى ان يتقبل منا انه ولي ذلك والقادر عليه.

الهوامش

١- الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله (ت: ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٤٨م، ج٥، ص١٥٣.
٢- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م، ج١،ص١٦١.
٣- المصدر نفسه، ج١، ص١٦١.
٤- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، البلدان، تحقيق: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، مقدمة المحقق، ص٥.
٥- الجعفري، ياسين إبراهيم علي، اليعقوبي المؤرخ والجغرافي، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م، ص٢٦.
٦- الجعفري، اليعقوبي المؤرخ والجغرافي، ص٢٦.

٧- ابن التغري بردي، أبو المحاسن يوسف الإتابكي (ت: ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ج٢، ص٤١.
٨- الجعفري، اليعقوبي المؤرخ والجغرافي، ص٢٦.
٩- المصدر نفسه، ص٢٧.
١٠- الجعفري، ص٢٧.
١١- اليعقوبي، البلدان، خطبة الكتاب، ص٩.
١٢- الجعفري، اليعقوبي، المؤرخ والجغرافي، ص٢٠٥.
١٣- المصدر نفسه، ص٢٠٥.
١٤- البلدان، ص١٤.
١٥- الجعفري، اليعقوبي، المؤرخ والجغرافي، ص٢١٣.
١٦- مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ج٢، ص٦٩٨.
١٧- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت،ط١، ١٤٠٥، ص٢١٧.
١٨- المعجم الوسيط، ج٢، ص٦٢٨.
١٩- لبلدان، ص١١.
٢٠- م.ن، ص٧١.
٢١- م.ن، ص١٤٥.
٢٢- م.ن، ص١٥٧.
٢٣- م.ن، ص١٦٢.
٢٤- سهيل: نجم بهي طلوعه على بلاد العرب في أواخر القيظ، القاموس المحيط ، ج٤، ص١٥٣.
٢٥- التيمن: الجنوب، القاموس المحيط، ج٢، ص٢١٠.
٢٦- البلدان، ص٧٠.
٢٧- الجعفري، اليعقوبي المؤرخ والجغرافي، ص١٩٨.
٢٨- م.ن، ص٦٨.
٢٩- البلدان، ص١٤.
٣٠- البلدان، ص١٤.
٣١- م.ن، ص١٤.
٣٢- البلدان، ص١٢.
٣٣- م.ن، ص١٩.
٣٤- مختصر البلدان، ص١٥٢.
٣٥- م.ن، ص ١٥٢.
٣٦- طسوج:- ناحية.
٣٧- باد وريا:- ناحية من كورة الأسان بالجانب الغربي من بغداد، معجم البلدان ، ج١، ص٣٧٧.
٣٨- البلدان، ص٢٢.
٣٩- م.ن، ص١٤.
٤٠- البلدان، ص٢٥.
٤١- م.ن، ص٢٥.
٤٢- م.ن، ص٢٥.
٤٣- نهر كرخايا:- وهو احد روافد نهر الفرات.
٤٤- البلدان، ص٢٥.
٤٥- م.ن، ص٤٣.
٤٦- م.ن، ص٤٣.

٤٧- م.ن، ص٤٣.
٤٨- البلدان، ص٤٤.
٤٩- م.ن، ص٤٤.
٥٠- م.ن، ص١٥٤.
٥١- البلدان، ص٢٦.
٥٢- العلي، صالح أحمد، بغداد مدينة السلام، وزارة الأعلام، ط١، بغداد، ص٤٣.
٥٣- البلدان، ص٢٦.
٥٤- م.ن، ص٢٦.
٥٥- م.ن، ص٢٦.
٥٦- م.ن، ص٢٦.
٥٧- م.ن، ص٢٦.
٥٨- البلدان، ص٢٩.
٥٩- مصطفى، شاكر، المدن الإسلامية، ط١، الكويت،ج١، ص٣٧٢.
٦٠- مصطفى، المدن في الإسلام، ج١، ص٣٧٣.
٦- البلدان، ص٣١.
٦٢- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٥٣، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٨٠.
٦٣- العلي، صالح احمد، تخطيط مدينة بغداد، ص١١٢.
٦٤- البلدان، ص١١.
٦٥- البلدان، ص١٢.
٦٦- م.ن، ص١٢.
٦٧- المسناة: سد.
٦٨- البلدان، ص١٢
٦٩- البلدان، ص١٢.
٧٠- البلدان، ص١٢.
٧١- م.ن، ص١٣.
٧٢- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٧٢.
٧٣- البلدان، ص٥٥.
٧٤- الشماسية:- منسوبة الى بعض شماسي النصارى، وهي مجاورة لدار الروم، ينظر: معجم البلدان، ج٣، ص٤٠٩.
٧٥- اليعقوبي، البلدان، ص٥٦.
٧٦- البلدان، ص٥٦.
٧٧- باحمْشا:- بسكون الميم، وهي قرية بين أوانا والخطيرة، وكانت بها وقعة للمطلب في ايام الرشيد وهو المطلب بن عبد الله... ينظر: معجم البلدان، ج١، ص٣٧٥.
٧٨- البلدان، ص٥٦.
٧٩- المطيرة: (ضربٌ من البُرُود) ينظر: تاج العروس، ج١٢، ص٤٥٦.
٨٠- البلدان، ص٥٦.
٨١- الجعفرية:- منسوبة الى جعفر، المتوكل على الله، وهي محلّة كبيرة أو مدينة كبيرة مشهورة في الجانب الشرقي من بغداد، ينظر: معجم البلدان، ج٢، ص١٦٧.
٨٢- الماحوزة:- لعلها ناحية الماء فالحوز هي الناحية، وحوزة المملكة ما بين تخومها ((القاموس المحيط: مادة حوز))، ج٢، ص٢١٠.
٨٣- البلدان، ص٦٧-٦٨.
٨٤- م،ن، ص٦٨.

٨٥- م،ن، ص٦٨.
٨٦- م،ن، ص٦٨.
٨٧- البلدان، ص٦٨.
٨٨- م،ن، ص٥٨.
٨٩- م،ن، ص٦٥.
٩٠- م،ن، ص٥٨.
٩- م.ن، ص٥٩.
٩٢- البلدان، ص٦٤.
٩٣- م،ن، ص٦٤.
٩٤- م،ن، ص٦٤.
٩٥- شولز، كريستيان نوربيرغ، العمارة الإسلامية، ترجمة محمود هندي مجلة المورد، مج١١ ، العدد الأول، بغداد- ١٩٩٣، ص٨٠.
٩٦- سورة التوبة، الآية ١٠١.
٩٧- سورة التوبة، الآية ١٢٠.
٩٨- سورة الحجرات، الآية ١٤.
٩٩- مسلم، مسلم بن حجاج القشيري (ت٢٦٢هـ)، صحيح مسلم، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ج٣، ص١٣٢.
١٠٠- البيهقي، احمد بن الحسين بن علي (ت٤٥٨هـ)، سنن البيهقي، تحقيق، احمد عبد القادر، مكتبة الخانجي، دار ابن باز، مكة المكرمة – ١٩٩٤،ج١، ص٢٥٠.
١٠١- شافعي، فريد، العمارة العربية في مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٧٠، ص٢٤.
١٠٢- الشابي، محمد، أضواء على الآثار الإسلامية، تونس ١٩٦٦، ص١٥٧.
١٠٣- مامي، محمد الباجي، ملاحظات حول دراسة المستشرقين للفنون والآثار العربية الإسلامية، مجلة المؤرخ العربي، ص٢١٨.
١٠٤- لسنر: يعقوب: خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ترجمة، صالح احمد العلي، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤، ص٢٨٣.
١٠٥- بينت، هنري: أصول المدينة، ترجمة محي الدين صبحي، مجلة الفكر العربي، العدد ٢٩، بيروت، ١٩٨٣، ص٩٤.
١٠٦- جرونباوم: المدينة العتيقة، الفكر العربي، العدد ٢٩، بيروت، ١٩٨٣.
١٠٧- خصباك، شاكر: في الجغرافية العربية، دراسة في التراث العربي، مطبعة دار السلام، بغداد – ١٩٧٥، ص١٧٨.

المصادر والمراجع:-

- القرآن الكريم.

أولاً: المصادر:-

- ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي (ت: ٨٧٤هـ).
- البلدان: تحقيق: محمد امين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين (ت: ٤٥٨هـ).
- تاج العروس من جواهر القاموس: تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، مطبعة الحكومة الكويتية، ١٩٩٠م
- تاريخ بغداد: تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، بلا.ت
- تاريخ الرسل والملوك: تحقيق، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٣، بلا.ت
- التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ
- الجرجاني: علي بن محمد بن علي (ت: ٨١٦هـ).

- الجواهري: اسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ).
- الحموي: شهاب الدين، ابو عبد الله (ت: ٦٢٦هـ).
- الخطيب، ابو بكر احمد بن علي البغدادي (ت: ٤٦٣هـ).
- الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ).
- سنن البيهقي، تحقيق: احمد عبد القادر، مكتبة دار ابن باز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م.
- الصحاح: تحقيق: احمد عبد الغفور عطا، دار الكتاب العربي، مصر، بلا تاريخ.
- صحيح مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.
- الطبري: محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ).
- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت:٢١٦هـ).
- معجم الادباء: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٤٨م.
- معجم البلدان: دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار صادر بيروت، ١٩٨٤م.
- اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب (ت: ٢٨٤هـ).

ثانياً: المراجع العربية والمعربة:-

- أصول المدينة، ترجمة محي الدين صبحي، مجلة الفكر العربي، العدد ٢٩، بيروت، ١٩٨٣ م.
- أضواء على الآثار الإسلامية، تونس، ١٩٦٦.
- بينت، هنري.
- جرونبام،
- خصباك شاكر
- خطط بغداد في العهود العباسية الاولى، ترجمة صالح احمد العلي، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤.
- الشابي، محمد.
- شافعي، فريد.
- شولز، كريستيان
- العمارة الإسلامية، ترجمة: محمود هندي، مجلة المورد، مج١١، العدد الاول، بغداد، ١٩٩٣.
- العمارة العربية في مصر الاسلامية، القاهرة، ١٩٧٠.
- في الجغرافية العربية، دراسة في التراث العربي، مطبعة دار السلام بغداد، ١٩٧٥.
- كحالة: عمر رضا.
- لسنر، يعقوب.
- مامي، محمد الباجي
- مجموعة مؤلفين المدينة العتيقة، مجلة الفكر العربي، العدد ٢٩، بيروت، ١٩٨٣م..
- المدن الإسلامية حتى العصر العثماني، مطبعة الكويت، بلا. ت.
- معجم المؤلفين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤.
- المعجم الوسيط، تحقيق، مجمع اللغة العربية.
- مصطفى شاكر
- ملاحظات حول دراسة المستشرقين للفنون والآثار العربية والإسلامية، مجلة المؤرخ العربي.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:-

- خطط مدينة السلام في مؤلفات المستشرقين، بحث غير منشور، مقدم الى جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، ٢٠١١.

Urban thought when Yacoubi in his book countries

The teacher Najla Abdul KarimKhalifa
College of Imam alaezum University

Abstract

Yacoubi is one of the most prominent scientific figures who have presented to the human civilization a lot of intellectual and urban creations. He is the pioneer in the field of urbanization and geography among our Arab Muslim scholars, as he was not dependent on his predecessors. He was diligent and inventive and came up with a new idea of urbanism. And the construction of roads and bridges, and gave Yacoubi great importance to the relationship between the location and geography and the success and prosperity of cities in economic terms and the consequent social and intellectual prosperity. Therefore, I recommend to myself first and all researchers in the field of Arab Islamic history to study in depth and study our cultural heritage in all its various aspects, because this heritage makes us proud to other nations serve our great ancestors of civilized thought and humane sophistication.